

## رحلة "عنجرية" في عالم الأحلام المروعة

### بقلم الصحافي يوسف أمين

بينما كنت أتصفح جريدة النهار عبر الإنترنت يوم الأحد الواقع في ٩ تشرين الثاني ٢٠٠٣ لفت نظري مقال تحت عنوان "ثلاث شبان لبنانيين ينفذون ببطء مشروع الروبوت العملي". وحتى لا نغوص في الموضوع عينه، سأشاك معكم تجربة حصلت لي مباشرة بعد الانتهاء من قراءة ذلك المقال إذ شعرت بنوع من النعاس والهذيان معاً، ولا شعوريا بدأت رحلتي في عالم الأحلام المروعة. وجدت نفسي مع مجموعة كبيرة من الرفاق على متن أتوبيس سياحي داخل وطن الأرز.

المرشد السياحي يعلن "نحن الآن على مدخل بلدة عنجر، إننا في صدد الدخول إلى أكبر مجمع لتكنولوجيا المعلومات، إنه الأكبر في الشرق الأوسط وربما في العالم. لا تنسوا أن تضعوا الإشارة الخاصة للزائر على صدوركم". دقائق قليلة وها هو الأتوبيس يتوقف أمام البهو الخارجي لمبنى يتألف من طبقتين، عند المدخل كان شخص وحيد فقط في انتظارنا وقد عرف عن نفسه قائلاً: أنا المهندس رستم، وأضاف أهلاً بكم، اليوم سنقوم معا بجولة ميدانية لنطلعكم على مهديّة عملنا في هذا المبنى". بعد ولوج غرفة الانتظار انتقلنا إلى رواق طويل نثرت على جانبيه أبواب عديدة. توقف المهندس رستم عند الباب الأول قائلاً، "سنطلعكم الآن على المرحلة الأولى من عملنا هنا" وزاد "الغرفة مليئة بالشخصيات المعروفة، لا تجربوا أن تتكلموا معهم، فهم لن يروكم أو يسمعوكم فنحن بإذنه تعالى في صدد برمجتهم لجلسة جديدة."

دخلنا إلى القاعة التي تشبه إلى حد بعيد دور السينما، فالأرض بنيت بشد كل منحدر تدريجياً والمكاتب والمقاعد من خلفها رتبت بشكل نصف دائري. لقد كان المهندس رستم محقاً، فجميع الأشخاص الذين في الداخل كانوا جالسين وراء مكابهم وهم لا يتحركون.

مهلاً، قال أحدنا، انهم! انظروا إليهم، إنهم نواب ساحة النجمة. هذا صحيح قال آخر، لقد شاهدناهم عشرات المرات على شاشات التلفزة، لكنها المرة الأولى التي نراهم فيها وجهاً لوجه. بدء الجميع يحدقون بذهول، ينظرون إلى ممثلين الشعب المرتدين أفخم البدلات وأشيك ربطات العنق، وإلى أياديهم المثقلة بأغلى المجوهرات وأثمنها.

نعم انهم نواب دولتنا اللبنانية "المسورنة والمبعثنة"، إنهم نواب البوسطات والمحادل "وما حدا غيرهم" مجتمعين داخل في هذه القاعة التي في الحقيقة تشبه قاعة مجلس النواب إلى حد كبير.

"هل نحن داخل متحف الشمع" صرخ أحدنا!، فتعالت قهقهات المهندس رستم، "لا انتم في متحف الروبوتات."

فجأة دخل القاعة على عجل شخص بلباس عسكري سوري، اقترب من المهندس رستم وأعطاه ورقة صغيرة. أعلن بعدها الأخير للجميع بعدما نظف حنجرته، "نظرا لضيق الوقت سنهي جولتنا هنا وسننتقل على عجل إلى الغرفة الأخيرة".

في طريقنا إلى الغرفة الأخيرة عبر البهو الداخلي لاحظ أحدنا في الجهة المقابلة باب آخر كتب عليه مجلس الوزراء، وبعد أن سألنا المهندس رستم الذي كان يجري على عجل عن سبب هذه التسمية رد الأخير مبتسما، "هذا الباب معطل حاليا بسبب بعض المشاكل"، وأردف قائلاً "اتبعوني الآن سنذهب لمقابلة الرئيس". قلت هل تعني رئيس الجمهورية؟ فرد مبتسماً، نعم، نعم، رئيس الجمهورية. استدرنا إلى اليمين ودخلنا إلى مكتب فاخر فوق بابه يافطة كتب عليها، لقصر الرئاسي. التفت المهندس رستم صوبنا وقال: "نحن الآن داخل مكتب رئيس الجمهورية، وكما ترون فهو جالس وراء مكتبه والعلم الوطني معلق من ورائه؛ أرزته الخضراء تملئ المكان شموخاً".

السلام عليكم يا فخامة الرئيس صرخ أحدنا، ثم ساد الغرفة هدوء ولكن دون جواب. وأكمل: "أهل أنت غاضب علينا فخامة الرئيس، لماذا لا ترد التحية؟ هنا علت قهقهات المهندس رستم من جديد "أهل نسيتم أنه روبوت فهو لا يتحرك إلا إذا كبسنا الزر، حسنا سندعه يتكلم"، وأخرج من جيده جهاز للتحكم عن بعد.

كل أنظار الموجودين مشدودة إلى رئيس الجمهورية، وما هي إلا ثواني معدودة حتى قام فخامة الرئيس عن مقعده متوجهاً إلى منتصف الغرفة رفعاً يده اليمنى ببطء ومن ثم بصوت مبسوح قال "شكراً على الثقة العالية التي أولاني إياها مجلسكم الكريم بانتخابي رئيساً للجمهورية"، وراح يقرأ الخطاب. صرخ أحد الحاضرين: "بس يا فخامة الرئيس ما تنفذ شي منه".

عندها علت الأصوات واختلطت الأسئلة بالأجوبة وهيمن جو من التشويش داخل الغرفة؛ ولكن بدى وكأن الرئيس لا يكثر بكل ما هو حاصل من حوله وكأن شيء لم يكن. واستمر بإلقاء الخطاب: "لا مستقبل لأحد في هذا البلد، حاكما كان أم محكوماً، إلا بقيام دولة القانون، ولا يجوز أن يستمر الإجرام البيئي".

كما لا يجوز أن يبقى مهجر خارج أرضه، كما أنه لا يحق لأي مهاجر أن ينسى لبنان، لبنان وحدة المسار والمصير والمقاومة، لبنان الدحر والقهر والانتصارات على الصهاينة في الداخل

والخارج. دولة القانون والممارسات التي تحققت بنسبة ٩٩,٩% بفضل عطايا سوريا الأسد، الله يطول عمر سيادته، وما عليكم إلا أن تحكموا على الممارسة ففيها الجواب"، ورفض أن يتوقف قبل أن أكمل قراءة خطاب القسم!!!

مهلاً وعذراً فخامة الرئيس قال أحدهم، فعن أي ممارسة تتكلم؟ ومن أين نبدأ؟ فأنت تتكلم عن المهجرين وهم لا يزالون خارج بيوتهم وقراهم، تتكلم عن البيئة وكل يوم في ظل عهدكم الميمون يُعتدى على البيئة دون حسيب أو رقيب، زد على ذلك الأملاك والأموال العامة. تتكلم عن المهاجرين قسراً بسبب سلوك المؤتمنين على العهد بعدما حولوا القمع والاعتقال الاعتيادي وزج الشباب في السجون إلى خبز يومي لمن تبقى منهم في البلد. تتكلم عن السيادة والديموقراطية والدولة منهم براء، تتكلم عن التحرير، والواقع أن الأرض تحررت من أهلها، تتكلم عن نظافة الكف، فيما "الحرامية" داخل الحكم و"الأوادم في السجون والمهاجر".

وانهمرت الأسئلة على فخامته وهو صامت كصمت "أبو الهول" يحق في وجه المهندس رستم وكأنه ينتظر الأذن منه ليتكلم، غير أن الإذن لم يأت. بعد دقائق تحولت الأسئلة إلى صراخ وإلى حركة احتجاج، هنا انزعج المهندس رستم وصرخ بأعلى صوته: "اعتقلوهم، اعتقلوا عملاء الصهاينة".

فجأة اجتاح الغرفة عشرات المسلحين وانقضوا على الجمع بالضرب والشتائم، ومن ثم اعتقلوهم جميعاً ونقلوا عنوة إلى الشاحنات. أما أنا فكانت أراقب كل ذلك حزينا، مطأطأ الرأس؛ ولكن في داخلي شخص آخر يود أن ينتفض على هذا الواقع الذي وصلنا إليه، يريد أن يرفع الصوت عالياً، لقول للسوري والفلسطيني والإيراني: "اخرجوا جيوشكم من لبنان واتركونا نتدبر أمورنا بأنفسنا، نحن لسنا روبوتات تحركوها ساعة تشاؤون. نحن شعب متعطش للحرية والسيادة الوطنية" هنا انتهى الحلم المروع، لكن الكابوس الحقيقي في وطننا لن ينتهي ما دمنا تحت الاحتلال. تعالوا إذا أيها الاخوة نعمل معا لندحر المحتل فيعود لبنان الذي عرفناه منارة للشرق ومنبرا للحرية. تعلوا نشهد للحق ونجاهر بالحقيقة.

٢٠٠٤/١/١٥